

## امة التشك سلوفاك

### والحرب

لم تردد الألسن في هذه الحرب ذكر امة من الامم الصغرى اكثر من ذكر امة التشك سلوفاك اذا استثنينا البلجيك وبولندا وسربيا. وقد كانت بلادها قبل الحرب جزءا من امبراطورية النمسا والمجر وكانت بلاد التشك تعرف باسم بوهيميا ومورافيا وسلوفاكيا فلما تقطعت اوصال الامبراطورية وانكسرت القبائل المنتهية اليها ونادت باستقلالها انضم التشك الى السلوفاك وعرفوا باسم التشكوسلوفاك او التشك سلوفاك

وقد خدمت هذه الامة غاية الخفاء في الحرب اعظم خدمة سواء في روسيا وسيبيريا فحالت اولاً دون تأليف جيش من اسرى الحرب الالمان والنسويين يساعد المانيا على ترسيخ قدمها في روسيا. وكانت منها ثانياً نواة قد يجتمع حولها جيش روسي وطني يكون له شأن عظيم في تاريخ اوربا

اصل هذه الامة صقلي او سلافي وهي اكثر الصقالية شبيهاً باسم اوربا الغربية في اخلائها وعاداتها. اما التشك فيقتضون بوهيميا ومورافيا وسانيزيا كما تقدم التول. واما السلوفاك فيقتضون سلوفاكيا من اقطاعات المجر. وعدد نفوس هذه الامة نحو ٩ ملايين منهم الثلاثة الاربع من التشك والربع من السلوفاك. والقبيلتان من اصل واحد ولفتاها متشابهتان كل التشابه حتى ان من يعرف اللغة البوهيمية ( لغة التشك ) يستطيع قراءة الكتب والجرائد المطبوعة بالسلوفاك احسن مما يستطيع رجل انكليزي قراءة شعر برنزا (١) مثلاً

والتشك ارقى من السلوفاك بكثير في السياسة والصناعة والمستوى العقلي وطهم تاريخ يشهد لهم بالبسالة والمروءة. اما السلوفاك فلم يكن لهم تاريخ مستقل منذ داتوا للمجر في اوائل القرن العاشر

### علاقة بوهيميا بالمانيا

ان الذي ينظر الى الخارطة يتحقق صدق قول بيمرك ان الدولة التي تحكم

(١) شاعر اسكتندي في شعره كثير من الاصطلاحات الاسكتندية بحيث يتصدر فيها الالمن المتعلمين من اللغة الانكليزية

بوهيميا تحكم اوربوكها . فان بوهيسيا صعيد في قلب اوربا وهي كسفين زوج بين  
لمان النمسا ومانيا . وقد قضى مركزها الجغرافي بان يقوم نزاع بينها وبين المانيا  
لا بد منها . والتاريخ يخبرنا بان العقابلة كانوا يقطنون في عهد شرلمان النصف  
الشرقي من المانيا الحالية . ومرت قرون والجرمان يبدلون جهدهم في جرمنة  
العقابلة الذين الى الشرق منهم فنازوا بينهم هذه حتى بلغوا حدود بوهيميا  
فرفقوا عندها ولم ينالوا منها سائلاً

وكان البوهيميون قد أسسوا حكومة وطنية عزيزة الجانب راقية في الاكادب  
والمعارف وهم اول الامم الشمالية التي تنبعت من سيات القرون الوسطى ونقضت  
ضها غبار الكسل فاعلن جون هس حرية الضمير والاجتهاد في تفسير التوراة  
قبل لوثر باكثر من مئة سنة فخذت الامة البوهيمية كلها حذوه وكان لتعاليمه  
اعظم تأثير في تضام اجزائها واصلاح لغتها

## اتحاد بوهيميا بالنمسا

وفي سنة ١٥٢٦ حدثت حادثة من اعظم حوادث التاريخ البوهيمي . ذلك ان  
مجلس الامة في بوهيميا اختار ملكاً من آل هابسبرج اسمه فردينند فباتت بوهيميا  
بهذا الاختيار جزءاً غير منفصل عن النمسا . وما فتية ملك هابسبرج من بدء  
هذا الاتحاد يشابرون على سياسة واحدة من ما طبا التضييق على المجلس البوهيمي  
وحصر حقوقه في ايديهم . ووجهوا همأ خاصاً الى مناوأة المذهب البروتستانتي بعد  
ما رسخ في البلاد فساء حملهم هذا ولايات بوهيميا فخلعت الامبراطور فردينند  
خلف فردينند المتقدم ذكره وافضى ذلك الى حرب كسرفها البوهيميون شرماً  
كسرة في معركة الجبل الابيض سنة ١٦٢٠ وأبعد جميع نلاء البلاد الى الخارج  
ووزع اربعة احماس الاراضي على الافاقين الذين ملأوا المناصب في جيش  
الامبراطور وفر عشرات الالوف من البلاد وأعيد المذهب الكاثوليكي اليها  
بالنار والسيف

وبقيت بوهيميا نحو مئتي سنة بعد معركة الجبل الابيض فافدة شخصيتها  
كامة وكاد التاريخ ينساها . وكانت حكومتها الذاتية في خلال تلك المدة تشذب  
شيئاً فشيئاً وآدامها تخمد وبذلك الحكومة النمساوية كل جهد لمحو اللغة البوهيمية  
فأمرت اولاً بان تكون اللغة الجرمانية مساوية للبوهيمية في جميع دوائر الحكومة

والهاكم ثم جعلت اللغة الجرمانية لغة التعليم في جميع المدارس العليا وجامعة براغ ، وبلغ من نجاح هذه السياسة سياسة جرمنة البلاد ان كثيرين من التشك كانوا في اواخر القرن الثامن عشر لا يستطيعون قراءة لغتهم الا اذا طبعت او كتبت بحروف جرمانية

### روح الثورة

لكن الثورة الفرنسية ايقظت التشك من سباتهم اسوة بآثرام اوربا غفلت جيوش الثورة مبادئ الوطنية والديمقراطية الى جميع أنحاء اوربا فبات من المستحيل بعد ذلك ابقاء الشعوب الخاضعة لغيرها لازمة جانب الهدوء والاستكانة . وكان تيقظ البوهيميين في بادئ امره محصوراً في لغتهم وآدابهم لان النماقت بشدة في عهد مترنيخ كل سمي يراد به تغيير نظام البلاد السياسي . وكانت نتيجة التنبؤ الادبي انه لما شبت ثورة سنة ١٨٤٨ وجدت بوهيميا مستعدة ومتحدة على طلب الحكم الذاتي فلم يع امبراطور النمسا سوى التسليم . وفي ٨ ابريل سنة ١٨٤٨ اصدر ما يسمى « البراءة البوهيمية » وفيها يمنح بوهيميا حقوقها الوطنية ويعدها بالاستقلال السياسي الكامل . ولكنه لم يبر بوعده هذا فلما اخمد الجيش النموي ثورتها وجدت نفسها شرماً مما كانت فمن جهة لم تنل الحكم الذاتي ومن جهة اخرى عقدت الحكومت النموية عزيمتها على اخضاع النهضة الادبية بمصادرة جميع الصحف والكتب البوهيمية ومنع تأليف الجمعيات حتى الادبية الصرفة . فعادت البلاد الى ما كانت عليه من الحكم المطلق والمركزية والجرمنة وبني الحال فيها على هذا المنوال حتى سنة ١٨٦٦ حينما قهرت بروسيا النمسا في معركة سادوى وطردها من ارض المانيا

وتعلم الامبراطور فرانسيس جوزف من معركة سادوى انه اذا شاء تضام اجزاء امبراطوريته المختلفة جنساً ولغة وديناً لم يكفه تأييد الجرمان من رعيته بل لا شئ له عن تأييد اعظم واوسع . وعليه غير لقب الامبراطورية سنة ١٨٦٧ الى الملكية المزدوجة Dan Monarchy وصار اسمها الرسمي « مملكة النمسا والمجر » . اما ما حدث حتى ادعى الى هذا التغيير فخلاصته ان الجرمان والمجر وهم اقوى عناصر الامبراطورية عقدوا بعد خلاف طال امره اتفاقاً غزواً ان تكون النمسا والمجر حكومتين مستقلتين لهما ملك واحد ولفظ واحد للرسم الجمركية

وجيش واحد ويبقى نظام المركزية معمولاً به في كليهما . ويكون الجرمان في النمسا والمجر في هنتاريا ممتازين على سائر الرعية

فهذه التشك محتجون على هذا الاتفاق المسمى بالامانية اوسجلين (Ansgleich) فقابلتهم الحكومة باعلان الاحكام العرفية في بوهيميا واضطهادهم اضطهاداً شديداً . على انهم لم تنو على اتخاذ حركاتهم ولو لم يصدوا الى المقاومة الفعلية فاضطرت ان تتاهل معهم المرة بعد المرة ولكنها لم تسلم معهم بان بوهيميا مساوية لهنغاريا من الوجهة السياسية وان كليهما اتخبتا فردينند النموي ملكاً عليهما سنة ١٥٢٦ وان اتحادهما شخصي صرف يترك كل فريق مستقلاً عن الآخر يحكم نفسه بنفسه ويدير زمام اموره على هواه وهذا ما لا يتحول التشك عنه . ولما كان اعظم مبدأ في بيان الحلفاء السياسي حتى كل امة في تعيين مصيرها السياسي قام التشك يقاتلون في جانب اعداء حكومتهم لاني جانبها هي موارد بوهيميا

والذي يدري ما هي بوهيميا وما هي مصادرها ومواردها الطبيعية يعذر آل هبرج بتشديد قبضتهم عليها ويقول ان الاتحاد بينها وبين النمسا اتحاد حقيقي لا شخصي كما يزعم التشك . فقد كانت بوهيميا منذ بدء علاقتها بالامبراطورية دعاتها الاقتصادية لانها في مقدمة بلدانها زراعة وصناعة وتجارة طيبة الاقليم يقطنها اقوام اذكياء بالطبع اشتهروا بالطرائق والزراعة منذ القدم ونصف ارضها او اكثر من النصف حتقول نضرة لا ينقصها شيء من وسائل الحراثة الحديثة . وفي ارضها كل معدن نافع ما عدا الملح . وتمكنت بمناجها الغنية في النجم والحديد من امتلاك ناصية الامبراطورية في الصناعة واصبحت من اهم المراكز الصناعية في اوربا . ومع الصناعة مشت التجارة جنباً الى جنب وساعد على ارتقاها مدسكك الحديد وحفر الترع واصلاح الطرق في جميع أنحاء البلاد حتى بات فيها ثلث سكك الحديد التي في الامبراطورية كلها . وكان على اثر هذا التقدم الصناعي ان تحمل التشك حصة ثمان الضرائب في مملكة النمسا

ولم يقتصر تقدم بوهيميا على الجهة لمادية بل تعداها الى الادبية ايضاً فان نسبة الاميين فيها الى الذين يعرفون القراءة والكتابة ٣ في المئة وهذا ما لا مثيل له في سائر اجزاء الامبراطورية . ونظام مدارسها الابتدائية والثانوية فائق الجودة

في رأس جامعتان شهيرتان في براغ الواحدة جرمانية والثانية تشكية. وهي متقدمة على سائر بلاد الامبراطورية في الآداب والموسيقى وسائر المرافق كلها تقريباً

### السلوفاك

مر على السلوفاك ألف سنة وهم فلاحون فقراء يمتنعون اسياهم المجر . وبلادهم واقعة حذاء الاسناد الجنوبية من جبال كرباتيا وهي قليلة الخصب لا يصلح الا التليل منها للحرث والزرع . ومعظم السلوفاك فقراء مدقون يعشون بينهم المرابون حتى ان الواحد يقضي عمره كفة ولا يوفي ما عليه من الديون . وكما قام واحد بينهم يسمى لاصلاح قومه رأى من المجر اسيااد البلاد سداً طانياً في سبيله لأن شعارهم ان يكون كل شيء مجرياً لا غير . وكانت صحف السلوفاك فيما مر تلمح وحميتهم الادبية تحمل لاهي حجة ولاقل شبهة . ولا تشبه الحكومة مدارس في بلادهم على حسابها وتقل كل مدرسة ينشئها السلوفاك على حسابهم . فلا عجب والحالة هذه اذا بلغ الاميون في البلاد اكثر من النصف بناء على احصاء سنة ١٩٠٠ . وبلغ من اضطهاد حكومة المجر اياهم انها لا تعطي شركة تجارية منهم رخصة خشية ان تكون هذه الشركة مشروعاً وطنياً يرمي الى السياسة . وقد دمشت طائع الاستبداد وطول عهدهم بها اخلاقهم فصاروا اطوع لحكامهم من البنان . على انهم بقوا يتظلمون الى اخوانهم التشك رجاء ان يتقدم من هذا الاسر ويخلصهم مما حاق بهم من الدل على طول الزمن

### زعيم التشك سلوفاك

يعود الفضل في اعداد التشك سلوفاك للاتحاد والاستقلال الى ثمر من القيورين على وطنهم وفي تلميذهم الدكتور ساريك وبنيس وستيفانيك وغيرهم . على ان الاول اشهرهم واعظمهم بلا خلاف فقد وقف عمره كفة على تأييد مبدأ الحرية والوطنية بزرع بذور التربية الصالحة في صدور قومه والمعاشير المعنوي حتى سمي بأخر موقظي يوهيميا متوسلاً الى ذلك بحسبهم على السير في اثر الامم الاخرى المتقدمة عليهم واقتباس انضمتها الراقية وخصوصاً بلاد الديمقراطيات الغربية وقد عرف في اوروبا كلها قبل الحرب بحملاته الشديدة الراسخة على حكم النمسا والمجر . ولما سعى الساعون في ايقاظ الفتنة على اليهود في النمسا بنسبة امور لا طائل تحتها اليهم كذبح اولاد غير اليهود لامور تختص بالدين فكان هو

السبب الاكبر في دفع الشبهة عنهم واتقاذهم من المكايد التي كانت تدبر لهم  
 وفي سنة ١٩٠٩ حكمت محكمة اجرام على ٥٣ من اليوجوسلاف بالاعدام  
 لثبوت تهمة الخيانة العظمى عليهم فبرهن مساريك بالبينة القاطعة ان الاوراق  
 والمستندات التي بني الحكم عليها زورت على يد وزارة خارجية النمسا والمجر  
 لاثارة الحرب على سربيا. فاثار ذلك حفيظة الحكومة عليه فلما نشبت الحرب  
 العظمى لم يسعه المقام في بلده ففر منه الى مكان آخر لاستئناس السعي في تحريره  
 من رقة الغريب

وملأت الحرب قلوب مواطنيه روعاً وجزعاً فانهم دعوا لقتلة الامم التي  
 احبوها والدفاع عن ظالمهم فأبوا بتاتاً. نعم اهم كانوا ينتظمون في جيش  
 حكومتهم ويوجهون الى الميادين المختلفة فيسيرون اليها عن طواعية في ظاهر  
 الامر ولكنهم لم يكادوا يبلغونها حتى كانوا ينضمون الى صفوف اعداء حكومتهم.  
 ويقدر ان نحو ٢٠٠ الف منهم انضموا الى جيوش روسيا وسربيا وايطاليا.  
 ورفض التشك في بلادهم شراء سندات الحرب التي اصدرتها خزينة الحكومة  
 النمساوية وامدوا الاعداء بانباء كثيرة تنفعهم وتضرر بالحكومة النمساوية وبذلوا  
 كل مجهود في غلّ يدها وقطع السبل عليها في مشروطاتها العسكرية. فقامت  
 الحكومة تستقم منهم اشد انتقام حتى قدروا ان ٣٠ الفاً من التشك قتلوا منذ  
 ابتداء الحرب ولا تزال الجون تغص بالالوف منهم حتى الآن

ولكن الاضطهاد في الداخل انفضى الى زيادة الجهد في الخارج فان مهاجري  
 التشك في انكلترا وفرنسا وروسيا وخصوصاً اميركا القوا جهدياً قوية لمداومة  
 حرب الحرية بزعامة مساريك. ولما ظهرت الثورة الروسية كان الزعيم المذكور  
 في اميركا فذهب الى روسيا ونظم من التشك سلوفاك وكانوا اسرى حرب فيها  
 جيشاً خدم الحلفاء خدمة عظيمة قبل تضعف الجيش الروسي ولا يزال حتى الآن  
 رجاء الحلفاء الاعظم في روسيا

فكانت نتيجة هذه المساعي الحسان ان حكومات الحلفاء اعترفت باستقلال  
 التشك سلوفاك. ومتى تم لهم الاستقلال وانضم اليهم جميع التشك سلوفاك اصبح  
 عددهم تسعة ملايين وساحة بلادهم ٥٠ الف ميل مربع فتكون بذلك اكبر من  
 البرتوغال او هولندا او البلجيك او اسوج وزوج او البلقان